الآثار النفسية والاجتماعية لحوادث المرور من منظور ديني

الأستاذ: محمد عمارة –
باحث جامعي وأستاذ مؤقت بجامعة الوادي

مقدمـــة :

لقد حث ديننا الحنيف على السلامة عموما والطريق خصوصا لتفادي الحوادث والكوارث التي يتسبب فيها الإنسان عن قصد أو عن غير قصد، وسلامة الطريق هي تأمين الطريق من المخاطر التي تؤدي بحياة الإنسان أو تسبب له إعاقات مستديمة، ممّا تنغص معيشته الدنيوية والمحافظة على النفس من مقاصد الشريعة الإسلامية ، وكذلك العقل والمال وهذا ما سنبيّنه في شروط سلامة الطريق.

ويمكننا طرح عدة أسئلة عن حوادث المرور وأسبابها :

- ما هي الأسباب المؤدية لحوادث المرور ؟
- هل هو العنصر البشري (السائق، المشاة) ؟
- هل هي المركبة ؟ هل الخلل في مصدر صناعة المركبة ؟
- هل الخلل في الطريق ؟ غير مؤهل ؟ غير معبّـد؟
- هل الخلل في علامات وإشارات المرور؟ هل هي غير واضحة ؟ هل هي منزوعة من أماكن معينة ؟ وما هي نظرة الشريعة الإسلامية إلى حوادث المرور وكيفية تفاديها؟ وأسباب اتخاذ السلامة المرورية؟ وهل هناك أحكام عقابية ردعية لمن تسبب في حادث مرور أدّى إلى إعاقة شخص أو جرحه أو وفاته سواء عن طريق العمد أو الخطأ ؟
- هل الخلل في قانون المرور ؟ غير صارم ؟ عدم اتخاذ عقوبات ضد السائق ؟

كل هذه الأسئلة سنحاول الإجابة عليها أثناء هذا المقال ، والتي سنركز فيها على شروط السلامة والتي تتكون من العناصر التالية : الإنسان، المركبة، الطريق، قانون المرور.

أولا : أسباب حوادث المرور ما يلي :

تشير الدراسات إلى أن مراعاة سائقي المركبات لأنظمة المرور وتعليمات السير في كثير من دول العالم متدني جدًا ، وربما يعطي ذلك انطباعًا أن هناك خلل ما ، إما في السائقين أنفسهم ، أو بالتعليمات والإرشادات والعلامات المرورية ، أو أن أنظمة السير وقوانينه لا تخضع لتقييم مستمر عن طريق إجراء دراسات قبلية وبعدية ، أو لعدم وجود آلية لتطبيق القانون "بحزم يجعل الآخرين يحترمون التعليمات المرورية.

1/ السرعة : زيادة السرعة فوق المعدل وقد تكون نابعة من الإنسان لأنه يريد الوصول إلى مكان مقصود في أقصر وقت ممكن ، وكذلك التباهي بالسرعة والتفوق على الغير.
2/ حب الإنسان لتملك سيارة : حيث يرى أنها تزيد في مكانته الاجتماعية، وعدم قبوله الركوب مع الشعب في الحافلات والنقل العمومي.
3/ عدم حسن التعامل مع المركبة : حيث أنه عندما يأخذ رخصة حديثة العهد ويشتري سيارة جديدة يبدأ يسابق الغير في الطرقات العامة وبسرعة فائقة.
4/ صغر سن السائق وصاحب رخصة جديدة لأول مرة.
5/ كبر سن السائق وضعف بصره وضعف عقله.
6/ كثرة التفات السائق والإشارة باليد والإصغاء المركز للغير (شخص مرافق، راديو، شريط).
7/ مشاكل تنظيم الوقت : حيث نجد الإنسان (الراجل أو السائق) يعوض الوقت الضائع بالسرعة والعجلة دون الانتباه.
8/ عمليات مجاملة في الطريق وتبادل التحيات وكثرة الالتفات يمينا ويسارا.
9/ اعتبار السيارة من رموز المكانة الاجتماعية لدى الفرد ، مما يحرص على اقتنائها ولو لم يكن مؤهل لذلك.
10/ عدم الإحاطة التامة بالمركبة ، وعدم مواكبة التكنولوجيا في صناعة المركبات وعدم صيانتها دوريا، واستعمالها في حمل الأثقال التي تفوق وزنها مما يسبب لها ضررا لا يتماشى وقانون المرور وهذا بالنسبة للمركبات النفعية والسياحية والخفيفة الوزن.
11/ كثرة الحديث والحكايات داخل المركبة عندما يكون الركاب مجتمعين وكأنما اتخذت المركبة مكانا للحديث وقص القصص ويصل بالبعض إلى اتخاذ أدوات اللعب داخل المركبة مثل (الشطرنج، تشغيل السمعي البصري) مما يلهي السائق وعدم الانتباه للطريق.
12/ قلة الثقافة المرورية لدى السائق والمشاة.
13/ ضعف الوازع الديني الذي لا يجعل الإنسان يفكر بمصيره ومصير غيره الذي قد يؤدي إلى الإعاقة أو الجرح أو القتل، وهذا مما حرمه الشرع لأنه تعدي على حرية الإنسان وجسده وتسبيب الأذى له.
14 /وجود الأشجار الكثيفة في الفاصل بين طريق الذهاب و الإياب ، حيث تمنع الرؤية بين السائق و الراجل .
15/ المدارس و المؤسسات التي تفتح أبوابها مباشرة للطريق و لا يوجد ممر و لا الطريق الخاص بالراجلين أو حواجز عند الخروج و خاصة تلاميذ المدارس .
16/ عدم وجود علامات الإرشاد و إشارات المرور و إشارات الخطر و الحذر .
17/ احتكاك الدرجات النارية والهوائية بالمركبات الأخرى مما يحدث الصدام .
18/ عدم الاعتناء بالمركبة وعدم فحصها وصيانتها .

19/ تعاطي الكحول أو المخدرات وكل ما يذهب العقل أثناء السياقة.
20/ عدم تعلم قوانين المرور جيدا (الذين يتحصلون على رخصة السياقة عن طريق الشراء)
21/ تجاوز الإشارة الضوئية .
22/ عدم ترك مسافة كافية بين مركبته والمركبة الأمامية الأخرى .
24/ الانشغال بالهاتف النقال .
25/ الضغوط النفسية و المشكلات الأسرية .
26/ عدم التقيد بمسار واحد أثناء القيادة في الطريق .
27/ الاستهتار والرعونة واللعب في الطريق بالمركبة أثناء السير .
28/ عدم المحافظة على شروط الأمن والسلامة في المركبة .
29 / عدم مراعاة حقوق المارة والمشاة .
30 / قلة الخبرة وضعف مستوى القيادة.
31/ حالة الطقس أو الجو(مثال: غبار- ضباب ،عاصفة ، ثلوج ، أمطار ، ..) مما يسبب انزلا قات خطرة تكون سببا في وقوع حادث مرور .
32/ حالة وجود حيوانات سائبة (مثال : الجمل بالجنوب – والأبقار بالشمال) مرورها في الطريق لاجتياز الطريق من اليمين إلى اليسار قد يكون سببا في وقوع حادث مرور .

ثانيا : أبعاد مشكلة حوادث المرور :

حوادث الطرق كارثة متفاقمة عالميّة تدمّر حياة العديد من البشر وسبل عيشهم ، وتعيق التطور تاركة الملايين عرضة للخطر تعد حوادث المرور أحد أهم أسباب استنزاف الموارد البشرية والمادية للدول ، ومن أهم الأسباب المعوقة للتنمية ، تشير بعض الإحصاءات إلى أن عدد الوفيات الناجمة عن حوادث السيارات يربو على **300** ألف شخص سنويا ، كما يتراوح عدد المصابين بين **10** – **15** مليون , ومن المحزن أن **10**% من بين هؤلاء هم من الأطفال ، وقد ترتفع نسبة الأطفال في بعض الدول لتصل إلى أكثر من **20. %** ، ولهذه المشكلة أبعاد كثيرة تترتب عنها منها :

- **البعد النفسي :** تترافق الصدمات النفسية لمصابي الحوادث المرورية مع ضغوط حادة تتسبب في حدوث خلل في التركيب الكيماوي في مخ الإنسان ينتج عنها أعراض جسمية فسيولوجية تعرف بالضغوط الصدمية ؛ وهى لا تقتصر على مرتكب الحادث بل تمتد إلى مرافقيه وأسرهم جميعًا وحتى من يشاهد الحادث .

ومن الممكن أن يتعرض أي فرد للإصابة بهذه الاضطرابات الناتجة عن الصدمات النفسية من سن الطفولة حتى عمر الشيخوخة ؛ كما أن حدة الإصابة بها تتوقف على عوامل اجتماعية , وثقافية ، ومادية , وسمات شخصية ؛ تتعلق بالشخص الذي

يتعرض لأي صدمة نفسية.

وقد تظهر أعراض هذه الاضطرابات بعد عدة أسابيع من الإصابة بالصدمة أو عدة شهور أو سنوات حسب ظروف كل حالة على حده ، والشخص العادي قد يستطيع أن يتغلب عليها ويستكمل حياته إذا لم تتداخل هذه الضغوط مع طريقة المعيشة اليومية ،والبعد النفسي تنتج عنه آثار نفسية يعاني منها الضحية منها :

- فقدان بعض الأعضاء الجسمية أو عاهات أو شلل أو إعاقة ، مما يؤثر في حياته العلمية والعملية والأسرية.
- ـ إصابته ببعض الأمراض النفسية المتولدة نتيجة الإصابة البدنية مما يخلق جو من التوتر داخل المحيط الأسري والمجتمع ككل .
- الصدمة النفسية الشديدة .

أهم أعراض الضغوط الصدمية:

استعادة الذكريات الأليمة أثناء أحلام اليقظة أو الكوابيس ذات العلاقة.

اجترار الذكريات الأليمة عند دخول المخفر, أو مقابلة الضابط.

محاولة تجنب الأفكار أو الأنشطة التي لها علاقة بالحادث المروري.

الاضطرابات الانفعالية الحادة التي تشتمل على القلق والتوتر المستمر.

حالات الاكتئاب المتدرجة من البسيطة إلى الحادة.

المخاوف المرضية (الفوبيا) من بعض الأشخاص أو الأحداث أو الأماكن العادية التي لا يخاف منها الآخرون.

اضطرابات الوساوس القهرية بلا مبرر.

الشعور بالنقص والعجز وعدم القدرة على اتخاذ القرار.

الشعور بعقدة الذنب.

الشعور بالاغتراب والوحدة وفقدان الأمل.

ضعف القدرة على إقامة علاقات اجتماعية مع الغير أو المحافظة عليها.

الآلام العضوية الجسدية مثل الصداع الكلي أو النصفي آلام في الجهاز الهضمي أو التنفسي ، أو ما شابه ذلك.

ومن العوامل المساعدة على ظهور الأعراض المرضية:

الأحداث المؤلمة التي تمر على الإنسان والمشابهة لما حدث له في الماضي.

ظهور أشخاص معينون يذكرونه بآخرين تسببوا له في صدمات نفسية سابقة.

أسماء أو وظائف معينة مرتبطة بالأحداث الصدمية السابقة له.

المواقف الإنسانية والعلاقات الاجتماعية المرتبطة بأحداث مشابهة لصدماته.

الأحلام المزعجة المتكررة التي تتضمن بعض التفاصيل عن صدماته.

التفكير المستمر فيما حدث له من صدمات سابقة.
الأعمال الفنية سواءً الدرامية المقروءة أو المسموعة أو المرئية المرتبطة بصدماته.

*** البعد الاجتماعي :**

والمتتبع للآثار الاجتماعية للحوادث المرورية يجد أنها بدأت تغزو العديد من الأسر, فهناك جمهور من المصابين والمعاقين والوفيات بسبب هذه الحوادث , كما أن الأمر لم يعد متعلقا ببعض سائقي المركبات المتهورين ، بل تعداه ليصل إلى سائقي الدراجات النارية ، وغيرها من الوسائل الخطرة التي لا يراعي سائقيها أدنى حدود السلامة المرورية ، ويتسببون بالآلام والمآسي للأفراد والأسر التي باتت تعاني من فقد أحد أفرادها أو المعاناة من جراء الإعاقة التي لحقت به , وكذلك فقدان الأسرة والمجتمع لفردًا منتجًا بدؤوا بدفع فاتورة علاجه ، وتعود أهميتها إلى الخسائر التي تسببها هذه الحوادث ؛ وأولها ما يتعلق بالأسرة ذاتها، حيث أن الضرر الذي يلحق بها نتيجة الحادث المروري يعكر صفوها الأجتماعي والأسري خصوصا، ومن نتائجه :

- فقد رب الأسرة بالوفاة والذي يعتبر عائلها الوحيد
- ترميل الزوجة.
- تيتيم الأولاد.
- إضافة عنصر نسوي فقد زوجه إلى النساء بدون أزواج.
- العاهات المؤقتة والدائمة.
- الانشغال عن أفراد الأسرة .
- تهديد حياة الآخرين .
- التأثير على مستوى معيشة الأسرة .
- انقطاع الدخل
- ضعف القدرة على الأداء والعمل
- الإعاقة والعجز الدائم
- الاختلال في التركيبة الاجتماعية داخل الأسرة
- انحراف الأبناء وضعف تربيتهم
- الإعاقة والعجز الدائم
- فقدان أحد أفراد الأسرة بالوفاة نتيجة الحادث المروري ، وبالتالي تخلف عواقب مؤثرة على تركيب المجتمع والأسرة المتضررة نتيجة لذلك.
- الضررً ماديً يأخذ جزءًا من دخلها أو من مدخراتها في سبيل إصلاح هذا الضرر أو شراءها سيارة أخرى إذا لم يكن هناك مجالا لإصلاح الضرر، وهو الأمر الذي يؤثر على طريقة إنفاقها وتوزيعها لدخلها ، وبالتالي يؤثر على مستوى معيشة الأسرة ولو لفترة محدودة .
- إصابة بدنية تسبب نسبة من العجز الجسمي تؤثر على صاحبها من حيث

قدراته على الأداء والإنتاج في العمل وعلى نشاطه الاجتماعي.
البعد الاقتصادي : تفقد الأسرة العائل أو أحد أفرادها، أو يفقد المجتمع طاقات بشرية قد تكون من النوع القليل في الذكاء والتفكير والإبداع والاختراع والتفوق العلمي.
- وكذلك فقدان مركبة غالية الثمن وهذا تلف للمال.
- معاناة المصابين وعجزهم عن كسب قوتهم مما يؤدي إلى الفقر.
- تحميل العائلة دية القتل الخطأ.
- العلاج المستمر في المستشفيات والعيادات، مما يكلف العائلة مصاريف كثيرة قد تعجز عنها .
- الخسائر المادية الكبيرة.
- **البعد الطبي :** ومن نتائجه :
- كثرة الحوادث تزيد في حجم العلاج الطبي مما يكبد الدولة خسائر فادحة ويجعلها تفكر في استحداث مستشفيات وعيادات أكثر، أو إرسال المصابين إلى الخارج أو إيراد أطباء متخصصين من الخارج، وهذا يكلفها أموال كثيرة.
- الإصابة الجسيمة أو البليغة

ثالثا : الحلول الممكنة (الوقاية و العلاج) :

تتطلب الوقاية من حوادث المرور عملا جادا يشمل الإنسان والطريق والمركبة يعد الإنسان العنصر الأساس في العملية المرورية ، لأنه الطرف العاقل لذلك يجب التركيز عليه وذلك بالعمل على تنشئته منذ الصغر على احترام قوانين وأنظمة المرور، وغرس قيمة التحلي بالالتزام بقواعد السلامة المرورية بصفة عامة،في نفسه، بحيث يصبح ذلك السلوك السليم عادة مرسخة فيه. فيقي نفسه، وغيره من أخطار الطريق، ويكون سائقا مثاليا مستقبلا .
يمكن طرح حلين أساسيين الأول ، بعد حصول الحادث ويتمثل في التكيف مع الآثار النفسية والاجتماعية ، وهذا مايسمى بالعلاج النفسي والاجتماعي .
الثاني يتمثل في شروط سلامة الطريق ، وتقديم اقتراحات مادية ومعنوية تساهم في التقليل من الحوادث وتفاديها ، وهذا مايسمى بالوقاية وسنفصل القول في هذه الحلول :

- الأول (العلاج النفسي والاجتماعي) :

بعض الحلول لتخفيف الآثار الاجتماعية للحوادث المرورية:
تحتاج الصحة والعافية لمنظومة متكاملة من الجوانب البدنية والنفسية والاجتماعية فإذا أردنا الوقاية من المخاطر النفسية والاجتماعية للحادث المروري ؛ فعلينا أيضًا أن نهتم بالجوانب البدنية والاجتماعية والنفسية وذلك بإتباع طريقة صحيحة للحياة اليومية بعد ارتكاب الحادث المروري من خلال:

- ممارسة الرياضة بانتظام ،
- الابتعاد عن التدخين والكحوليات
- مرافقة الصحبة الجيدة التي تشعر الإنسان بالألفة وتبعده عن التوتر أو أسبابه
- تعلم طرق الاسترخاء والتعامل مع الضغوط الحياتية
- القيام بالبحث عن أسباب المشاكل ومحاولة حلها قبل أن تستفحل
- عدم ترك الحادث يؤثر على حياتنا وأن لا نتردد في طلب المساعدة النفسية من العائلة أو الطبيب
- كما يجب علاج الضغوط النفسية التي قد تسبب الإحباط العضوي نتيجة للإصابة بالفشل بسبب الحادث المروري.

- الثاني (الوقاية) :

1- شروط سلامة الطرق البرية :

الشرط الأول : تعبيد الطريق

والمقصود به تمهيد الطريق وخلوه من العيوب لتسهيل سير المركبات الخفيفة والثقيلة.

وقد تساءل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذا الأمر في عهده حيث قال: "والله لو عثرت بغلة في العراق لخشيت أن يسألني الله عنها لما لم تعبّد لها الطريق يا عمر ؟ "[1] ، فقد أحس عمر بن الخطاب بالمسؤولية الملقاة على عاتقه في تعبيد الطرق، وهذا ينطبق على الطرق البرية، وهذا من مسؤولية الدولة التي تتمثل في الولايات والبلديات، فتعبيد الطريق من شأنه أن يخفّف من وقوع الحوادث، وهذا يرجع إلى اتخاذ السبل والمناهج لفن تخطيط المدن والطرقات، والطرق نوعان (طريق داخل المدينة) و(طريق خارج المدينة).

أ/ الطرق الداخلية : (طريق داخل المدينة) :

وهي شبكة الطرقات داخل المدينة والتي تربط بين الأحياء وعادة ما تكون قصيرة وضيقة ومتوسطة العرض وبجانبيها طريق المشاة ، وهنا تراعى فيه تخفيف السرعة، ويكون خاص بالمراكب الخفيفة وتكثر فيه الإشارات ومقطع الراجلين والأضواء المنظمة للسيارات والمشاة وكذلك يحسب حساب الدراجات الهوائية والنارية وسيارات النقل المشترك (الحافلات) ومواقف الحافلات [2].

ب/ الطرق الخارجية (طريق خارج المدينة) :

وهي شبكة الطرقات التي تربط المدن ذات المسافات الطويلة (الولايات)، وعادة ما تكون متسعة ومزدوجة، وتكثر فيها السرعة، ولا يكثر فيها المشاة ولا الدراجات بأنواعها، وهي عادة ما تكون خاصة بالعربات ذات الوزن الخفيف والثقيل معا، ومن الأحسن توفير اجتياز المدينة على السائقين الذين لا يرغبون في التوقف فيها،

وكذلك تسهيل الدخول إلى القطاعات الاقتصادية والمناطق الصناعية والتجارية في المدن الكبرى للناقلات ذات الوزن الثقيل دون مضايقة الأحياء الأخرى[3].
فتخصيص طرق معينة داخل المدينة بأوصاف فنية، وكذلك تخصيص طرق معينة خارج المدينة بأوصاف فنية من شأنها المساهمة في السلامة والتقليل من الحوادث، فالطريق السيار والمتسع والخاص بالوزن الثقيل يؤدي إلى سلامة الطريق والركاب[4].

الشرط الثاني : علامات الإرشـاد (إشارات المرور)

وهي العلامات التي تنبه السائقين في طريقهم للمخاطر والانحرافات، والتحذير من الوقوع فيها، أو دلالات اتجاهات الطرق الرئيسية والفرعية، ولقد أشار القرآن الكريم بأنّ الدليل أو الإشارة لا يستغني عنها أحد قال تعالى : "وعلامات بالنجم هم يهتدون".
والإشارات هي من قواعد المرور، وقواعد المرور تعتمد على درء المفاسد وجلب المصالح والوقاية من الأضرار والحوادث، والدين يقرر قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) وهي قاعدة عامة في مصلحة العباد ويجب تطبيقها في دفع الأضرار الناجمة عن مخالفة الإشارات لأنّ التمادي في مخالفة الإشارات قد تؤدي إلى حوادث وكوارث بشرية إمّا موت أو إعاقة أو جروح متفاوتة الخطورة ، أو تؤدي إلى فقدان السيارة أو عدم صلاحيتها للسير للأضرار الكبيرة التي لحقتها جراء حادث مرور، وهذا إهدار للمال ، ومن مقاصد الشريعة المحافظة على المال وعدم التلاعب به أو تبذيره في إتلاف وسائل النقل من سيارات ومراكب وهي نعمة من الله تعالى منّ بها على البشرية في اختراع وسائل النقل ، فهي تقرب المسافات وتطوي الساعات ، فبدلا من الوصول على وسائل النقل التقليدية لقطع مسافة طويلة في غضون يوم فالسيارة تقطعها لمدة ساعة أو ساعتين، وبدل من حمل الأثقال على الإبل والدواب تحملها في هذا العصر مركبات ذات الوزن الثقيل أضعاف ما تحمله الوسائل التقليدية ولمسافات طويلة وقصر الزمن لقوله تعالى : "ويخلق ما لا تعلمون" بعد ذكر وسائل النقل من البغال والحمير عقب عليها ويخلق ما لا تعلمون، لأنّه يخلق وسائل بديلة عنها في أزمان مستقبلية فكانت منها السيارات والناقلات وغيرها من الوسائل الحديثة، ويبقى كلامه تعالى : "ويخلق ما لا تعلمون" مستقبلا عند ظهور وسائل أخرى بديلة عن وسائل العصر، والآن لا يستطيع الإنسان أن يستغني عن وسيلة النقل، فحركة العمل اليومية تضطرّ العامل للتنقل لمسافات قصد وصوله إلى مقر عمله في وقت قصير إلى وسيلة نقـل والتاجر لا يستطيع كذلك الاستغناء عن وسيلة نقل السلع مهما ثقلت السلعة فإنّه يشتري أو يكتري وسيلة لنقل سلعته لأنّها مصدر رزقه، وكذلك المسافر القاطع للمسافات الكبرى بين المدن والبلدان والأقطار والقارات لا يستطيع الاستغناء عن وسيلة النقل السريع، الحاج الذي يقصد مكة لأداء مناسك الحج كان يرحل إليها عن طريق الوسائل التقليدية (الإبل) لمدة شهور، كما قال تعالى: (وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾ (سورة النحل

الآية 07) ، والآن يصل إليها في نفس اليوم الذي انطلق فيه من بلده وهذا نعمة يشكر الإنسان عليها ربه ويقول حين يركب الوسيلة "الحمد لله الذي سخّر لنا هذا".

الشــرط الثــالث: المركبة (السيارة ، الشاحنة...)

ومن شروط سلامة الطريق وسلامة السائق وكل مستعملي الطريق البري صلاحية المركبة المستعملة سواء كانت سيارة ، أو شاحنة أو حافلة نقل المسافرين أو غيرها من وسائل النقل البري ، فالتأكد من صلاحيتها وقدرتها على قطع مسافات طويلة تساعد على سلامة الطريق والعكس صحيح فإذا كانت غير صالحة وأقحمها صاحبها في هذا المجال قد تؤدي به إلى التهلكة وقد نهى الشرع عن ذلك لقوله تعالى : " ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة " وهو هلاك النفس بأي صيغة كانت وهنا الهلاك هو الحوادث المرورية الناتج عن عدم سلامة المركبة ، فلا بد قبل الانطلاق التأكد جيدا من صلاحية المركبة ومراقبتها جيدا من عدة نواحي تقنية وهيكلية ويجب فحصها جيدا من كلا النواحي وخاصة المحرك والعجلات ،و أخذ عجلات احتياطية ، وتغيير وتجديد ما يمكنه تغييره وتجديده قطع الغيار،وكذلك تغيير الزيت ، وكذلك أخذ صندوق خاص به وسائل تفكيك وتركيب قطع الغيار، خبرة السائق أو مرافقه بالأعطاب وكل تغيير يطرأ أثناء الطريق مما يساعد على سلامة المركبة ، فلا بد من الأخذ بالأمور الآتية :

- فحص السيارة أو المركبة قبل الانطلاق .
- أخذ الاحتياطات اللازمة في المسافة الطويلة (قطع غيار ضرورية – صندوق مفاتيح وكل الوسائل المساعدة لمعرفة العطب – العجلة الاحتياطية ...).
- مراقبة الفرامل جيدا (لأن عدم وجودها أو ضعفها يؤدي إلى الحادث)
- معرفة كاملة بميكانيك المركبة أو إرفاق ميكانيكي عند الضرورة).
- لابد من غرس ثقافة صيانة المركبة والبعد عن القيادة الخطرة عندما تكون المركبة في حالة جيدة.

الشــرط الرابــع: السائـق (القائـد)

وهو قائد السيارة أو المركبة وهو العنصر الأساسي في سلامة المرور أو حوادث المرور لأن أغلب الحوادث المتسبب فيها الإنسان بعلم أو بجهل، ولذا يركز في سلامة الطريق على العنصر البشري فهو المحرك الأساسي لعملية المرور فإذا تهاون في القيادة فقد تكون الكارثة ولذا توجه النصائح للسائق بصفة خاصة لأنه هو صاحب العقل وهو المخاطب بأخذ الاحتياطات اللازمة للسلامة ومنها:

عدم تعاطي المسكرات والمخدرات أو كل ما يذهب العقل وهو السبب الرئيسي في التسبب بحوادث المرور وقد نهى الشرع عن الخمر لقوله تعالى:"يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون"(المائدة 90).

وقد سن الشرع عقوبة الجلد من تعاطى المسكرات لأنها مذهبة للعقل[5]، ومن مقاصد الشرع المحافظة على العقل بمنعه من تعاطي المسكرات والمخدرات[6]، وفرض

التعليم لمحو الجهل والأمية، فالتعلم يجعله يقرأ كل إشارة ويفهمها ويعرف خطورة مخالفتها، ولذا فرض الدين طلب التعلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم)(حديث)،والمسكرات عاقب عليها لأنها تذهب العقل وتحدث الكوارث، فكيف نتصور سائق دون عقل فهلك نفسه وغيره في الطريق ولذا فالقانون الحالي يعاقب السائق المخمور وشرعنا أولى، لذا على السائق أن يلتزم بما يلي :

– تجنب التعب فلا يسوق وهو مرهق إلاّ بعد راحة تامة لأن التعب يضعف من أداء حسن السياقة ويضعف القدرة على القيادة مما يسبب له تعب آخر قد يؤدي به وبغيره إلى حادث مرور .

– تجنب النوم والنعاس عند السياقة وهذا ناتج عن عدم النوم الكافي مما يتركه يحتاج إلى النوم حتى تأخذه سنة النوم أو النعاس في لحظات متقطعة مما يؤدي به إلى الخروج والانحراف عن الطريق الذي يسبب له حوادث مرور له ولغيره.

– الخبرة في السياقة فقليل التعليم أو الجديد الذي أخذ رخصة السياقة لا يعرض نفسه إلى قطع المسافات الطويلة إلا بعد خبرة طويلة ولا يغامر في ذلك.

– تجنب الوسائل الملهية عن السياقة (نقال – فيديو – تلفاز – الحديث مع المرافق ومع الركاب في المؤخرة.

– صغر السن (تجنيب صغار السن السياقة إلاّ بعد التمرّن، عدم تسليم رخصة السياقة للشباب الصغار، وكذلك تجنب أصحاب الورشات استخدامهم لسائقين غير مؤهلين).

– كبر السّن (تجنيب كبار السن السياقة لضعف قوتهم وبصرهم).

– العيوب (ضعف البصر،مرض، معوقات أخرى) كلّها تؤدّي إلى الحوادث.

تجنب المهدئات والكحوليات مما تؤدي إلى نقص القدرة على التعامل مع المركبة.

كل هذه القيود إذا لم يلتزم بها السائق فإنها قد تؤدي به إلى حادث مرور أو انحراف يسبب لغيره حادث أو انحراف.

خصائص السائق الماهر (العوامل الإيجابية) :

– الإدراك (إحساس أو شعور بخطر، رؤية شيء معيق بالعين المجردة)

– سرعة رد الفعل الإيجابي (التحكم في السيارة، الضغط على الفرامل، تحريف السيارة إلى مكان الأمان وذلك بالتحكم في مقود السيارة).

– قوة التحكم.

– السلامة من الأمراض المعيقة للسياقة.

– حدة البصر.

– العمر المتزن.

– تفرغ الذهن من التفكير خارج إطار السياقة والطريق.

– عدم الانشغال بالمشاكل النفسية والاجتماعية أثناء السياقة.

– التحكم في الأعصاب وعدم الاستجابة للاستفزازات من قبل السائقين الآخرين أوالمشاة أوالركاب المرافقين.

العوامل المؤثرة على السائق (العوامل السلبية) :

- العمر (صغير، كبير).
- الإرهاق (التعب، عدم النوم الكافي).
- الضعف الجسماني.
- تأثير المسكرات أو المخدرات.
- الانشغال بالمشاكل النفسية والاجتماعية وخاصة الأسرية أثناء السياقة.
- المرض، ضعف البصر، الغفلة، النعاس.
- العجلة بهدف الوصول إلى المكان المقصود في زمن قياسي.
- شرود الذهن والدخول في الحيرة وعمق التفكير.
- الأمراض العصبية (كثرة النرفزة والغضب).

الشـــرط الخامـــس: المواطن (المشاة)

للمواطن الحق في التنقل والحرية وتفاديا للحوادث المرورية خصص طريق للمشاة على حافة الطريق الخاص بالسيارات وعند قطع الطريق خصص له ممر خاص به وكذلك إشارات خاصة به ترشده متى يقطع الطريق ، ومن اجل سلامته بنيت له جسور فوق الطريق وأنفاق تحت الطريق تفاديا لقطع الطريق السيار فعلى المواطن احترام قوانين المرور عندما يكون راجلا.

حيث يرى عابري الطريق أحيانا عدم الالتزام بعلامات المرور الخاصة بهم لأن قائدي السيارات لا يلتزمون بذلك، حيث لا ينتظر الراجل إشارة عبور المشاة أحيانا إلاّ إذا كان شرطي المرور واقف أمامه، وأغلب ما تنشأ حوادث المرور بين المشاة وقائدي السيارات بسبب إحدى الطرفين لتجاوزه النظام العام للمرور إمّا عابر طريق سار دون ملاحظة إشارة العبور أو سائق لم يلق بالا للعابرين ووصل نقطة العبور دون مراعاة السرعة المطلوبة للتوقف [7].

لا بد من غرس الثقافة المرورية لدى الفرد والمجتمع (بين المشاة والسائقين) لأن سلامة الفرد جزء من سلامة المجتمع، وإقناع كلاً منهما بأنّ النظام المروري لحمايتك وليس لمضايقتك حتى نستطيع فرض نظام المرور بطريقة ودية وحازمة في نفس الوقت وإقناع الطرفين بأنّ شرطي المرور ليس عدو الطرفين وإنّما هو رجل قانون يريد أن يطبق القانون لحماية الإنسان سواء كان راجلا أو راكبا لكي يحرص الإنسان من ذاته على تطبيق القانون وعدم خرق نظامه لكي يحمي نفسه بنفسه ولو في غياب شرطي المرور أو إشارة المرور في بعض الأماكن، هذه الثقافة عندما يطبقها الإنسان يصبح يخجل من الخروج عن النظام المروري [8].

ومن خصائص المشاة منهم السريع، البطيء، الصغير، الكبير، العاجز، المعوق، المدرك، غير المدرك.

وكذلك يؤخذ عنصر كثافة عدد المشاة :

- حالة كثرة المشاة للعبور إلى الضفة المقابلة.
- حالة قلة المشاة للعبور إلى الضفة المقابلة.
- حالة متوسطة المشاة للعبور إلى الضفة المقابلة.
- حالات خاصة (شخص واحد، شخصين، ثلاثة أشخاص).

خصائص طريق المشاة : يتميز بما يلي :
- وضع خطوط خاصة لقطع الطريق (الوضوح، الألوان).
- الإشارة الضوئية (الوضوح، الألوان).
- شرطي المرور لمساعدة المشاة على قطع الطريق.

من خلال خصائص المشاة وخصائص طريق المشاة تكون نسبة الحوادث بالكثرة أو القلة أو الانعدام ناتجة عن احترام كل من المشاة والسائقين وعناصر التنظيم (الإشارة ، خطوط القطع، الشرطي) كلما توفرت عناصر جديدة متكاملة كلما قل أو انعدم الحادث والعكس.

الشـــرط الســـادس: القـــانون (قانون المرور)

لقد وضع قانون عالمي للمرور ويجب قبل أخذ رخصة السياقة فهمه جيدا لكي يطبق في الواقع ولهذا وضعت الدولة عقوبات صارمة عند مخالفة هذه القوانين.

لقد أصدرت قوانين ردعية جديدة لنظام المرور في سنة 2009 منها :

1. إرسال رخص السياقة المسحوبة إلى المحكمة عوض اللجان الولائية.
2. الرفع من الغرامات المالية عند استعمال النقال أثناء القيادة.
3. الرفع من الغرامات المالية عند مخالفة إشارات المرور.
4. السحب الفوري للرخص عند مخالفة إشارات المرور.
5. استحداث محاكم خاصة بحوادث ومخالفات المرور[9].
6. هناك مخالفات من الدرجة الأولى بها غرامات مالية تصل إلى 2500دج أغلبها مخالفات بسيطة مثل مخالفة الإشارة.

7- هناك مخالفات من الدرجة الثانية بها غرامات مالية تصل إلى 3000دج . أغلبها مخالفات بسيطة مثل مخالفة الإنارة.

7. هناك مخالفات من الدرجة الثالثة بها غرامات مالية تصل إلى 4000دج ، أغلبها مخالفات بسيطة مثل مخالفة استعمال أجهزة التنبيه الصوتي.

9.هناك مخالفات من الدرجة الرابعة بها غرامات مالية تصل إلى 6000دج ، أغلبها مخالفات بسيطة مثل مخالفة عدم استعمال حزام الأمن ، وزيادة السرعة.

10. هناك مخالفات تصل إلى الجنح وتترتب عليها عقوبات مادية وبدنية مثل الحبس قد يصل إلى 10سنوات وغرامة مالية قد تصل إلى 300.000دج . اغلبها تجاوزات خطيرة وإفراط في السرعة واستعمال الهاتف النقال .

11. وعند حدوث القتل الخطأ عن طريق حادث مرور مؤلم فإن الغرامة المالية تتضاعف وتصل إلى 1.000.000دج[10] .

الشـــرط الســابـــع: الشـرع

لقد اهتم الشرع بالمحافظة على سلامة الإنسان وحرم كل سبيل يؤدي إلى هلاكه قال تعالى: ﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ (المائدة الآية 32) كالانتحار، القتل ، الإعاقة وسن قوانين وأحكام لمن تسبب في قتل وإعاقة أو انتحار شخص ومن هذه الأسباب

حوادث المرور والتي تؤدي إما إلى إعاقات أو قتل أو صدمات نفسية ولذا غلّظ في قتل النفس عمدا أو خطأ [10]، وأغلب حوادث المرور تكون عن طريق الخطأ والخطأ جزاءه أن يكفر على نفسه بصيام شهرين متتابعين ، ومن جهة أخرى جبر خاطر ذوي المقتول بالحادث وهو دية قد تصل إلى مئة مليون سنتيم جزائري أو تزيد وذلك حسب تقدير الفقهاء لها وهذا حفاظا على النفس [11] وردعا للمتسبب في قتلها[12].
وهناك فتوى شرعية في هذا المجال نصها كالآتي :
- نظرا لتفاقم حوادث المرور ، و زيادة أخطرها على الأرواح و الممتلكات ، نتيجة السرعة المفرطة و تجاوز القوانين التي تضبط المرور .
- و بعد إطلاعنا على قرارات مجامع الفقه الإسلامي بخصوص موضوع (حوادث السير) والتي اعتبرت الإفراط في السرعة (مع وجود مانع قانوني) اعتداء و إسرارا على إفساد المرافق العامة .
- و نظرا إلى أن السائق في هذه الحالة مسؤول عما يحدثه بالغير من أضرار في البدن و المال .
- و عليه فإذا نجم عنه حادث قتل ، فإن المتسبب مدان و تطبق عليه أحكام الجنايات المقررة في الشريعة الإسلامية ، و إن كانت في الغالب من قبيل الخطأ .
- هذا و إن المتسبب في قتل شخص فهو مدان يستحق أن تطبق عليه العقوبات المنصوص عليها في القانون كما تترتب عليه الدية و الكفارة ، و الله أعلم . (هيئة الإفتـاء) [12] .

2- الحلول المادية والمعنوية :

إنّ حوادث المرور أحد الأسباب الكبرى للوفيات والإعاقات ولهذا يمكن التقليل منها بالطرق الآتية :

أ- عوامل التجنيب من حوادث :

1/ التوعية : وذلك عن طريق وسائل الإعلام (المسموعة، المرئية، المقروءة، المساجد في الدروس والخطب، مؤسسات التعليم، دور الثقافة، الجمعيات، الكشافة...).
2/ صرامة القانون : وذلك بتطبيق العقوبات على المخالفين.
3/ الوازع الديني : وذلك ببيان أحكام الشرع فيمن تسبب في مقتل شخص أو إعاقة عن طريق المركبات، وهذا يتناوله الأئمة في دروسهم وخطبهم وكذلك الأحاديث الدينية في التلفاز والإذاعات المحلية والوطنية.
4/ مؤسسات الأمن : وذلك بتكثيف الرقابة على الطرقات داخل وخارج المدينة لتحسيس السائقين بذلك.
5/ وسائل الإعلام : حيث تلعب دورا مهما في عامل الإشهار وتصوير الحوادث والتعليق عليها لتنبيه المواطن والسائق لمخاطر حوادث المرور.
6/ قطاع النقل : منع المركبات الغير صالحة للسير لأنها تسبب الحوادث.
7/ كثرة إحداث الطرقات الفرعية والأنفاق داخل المدينة والطرقات المعلقة.

8/ كثرة إحداث الطرقات السريعة خارج المدينة (كما هو الطريق السيار شرق غرب).
9/ كثرة إحداث ممرات الراجلين على الطريق أعلى الطريق (جسر) أسفل الطريق (نفق)
10/ وضع العلامات بوضوح للراجلين وأصحاب المركبات .
11/ وضع الحواجز للمشاة وخاصة المدارس والمؤسسات التي تفتح أبواب للطريق.
12/ نزع الأشجار الكثيفة في الفاصل بين طريق الذهاب والإياب لأنها تخفي الرؤية عن السائق والمشاة.
13/ إحداث وسائل أخرى للنقل للتقليل من الازدحام مثاله(ميتور الأنفاق. تراموای القطار، النقل البحري داخل المدينة وبين المدن كما هو في الدول الأخرى)
14/ تخصيص مسار للدرجات النارية والهوائية والعربات الأخرى.

ب - عوامل التخفيف من الحوادث المرورية:

يشير خبراء السلامة والوقاية من الحوادث إلى الحلول التي تسهم في التخفيف من الحوادث المرورية , وأهمها:

1/ إدراج مفاهيم التربية المرورية في مناهج التعليم في المدارس.
2 / تفعيل حملات التوعية المرورية والطرقية وتكثيفها والتأكد من التقيد بها وتطبيقها من قبل الجميع.
3- وضع البرامج التدريبية الخاصة لتوعية المواطنين والمقيمين .
4- التأكيد على احترام الجميع للقانون وأنظمة المرور.
5- إعداد الحملات الإعلامية المرورية وإقامة المعارض بوقت واحد وبشكل متواصل.
6- الحزم في تطبيق القانون ضد المخالفين المستهترين بالشوارع العامة.
7- تعليم وتدريب الأبناء منذ المراحل التعليمية المتقدمة على احترام القانون وخاصة فيما يتعلق باستعمال الطريق وفهم قواعد السلامة المرورية لأن المرور جزء من حياة الفرد اليومية وحتى ننمي سلوكيات حميدة تساعدهم على الوقاية من الحوادث.
8- وضع علامات تحذيرية وإرشادية على مسافات كافية في المناطق التي تتكرر فيها الحوادث وخاصة على الطرق السريعة والطويلة.

خـــاتمة :

ويمكننا إيصال التوصيات التالية :

1/ إدخال مادة نظام المرور إلى المدارس.

2/ إنشاء نوادي خاصة بالتعريف والتوعية بنظام المرور والتنبيه عن مخاطره وخاصة لدى الصغار والشباب لأن الصغار أكثر تعرضا للحوادث.
3/ توصيل فكرة التعليم مدى الحياة لقانون المرور وسياقة المركبة ومعرفة الجديد في ذلك.
4/ إحداث مدارس تعليمية شبه رياض الأطفال بها مراكب صغيرة خاصة لتعليم متوسط الأعمار من الشباب لنظام المرور في الميدان وكيفية الوقاية من الحوادث.

الهوامش :

1. مجلة الموافقات (مجلة محكمة تصدر عن كلية العلوم الإسلامية الخروبة الجزائر) ع 5/س96 – حرية التنقل في الشريعة، ص 280/ حمود حنبلي.
2. فن تخطيط المدن (روبير آوزيل) ترجمة بهيج شعبان، ص122، ص160، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دون تاريخ.
3. المصدر السابق، ص160.
4. المصدر السابق، ص 160.
5. المدخل إلى علم مقاصد الشريعة/ الدكتور عبد القادر حرزالله، طبعة دار الخلدونية الجزائر، ص125.
6. موقف الشريعة من نظرية الدفاع الاجتماعي– الدكتور أحمد فتحي بهنسي – دار الشروق – طبعة 3. الدكتور أحمد فتحي بهنسي– دار الشروق– طبعة 3. ص101.
7. القيم الاجتماعية وأثرها في مشكلة المرور/ الدكتور محمد بن سليمان الوهيد، الرياض – المملكة العربية السعودية – ص50.
8. المصدر السابق، ص 51.

9- جريدة الخبر اليومية (الجزائر) ع 5709 ، الصادرة بتاريخ 2009/07/26، ص7 تحت عنوان : "وزارة النقل تكشف عن تفاصيل حركة المرور المعدل " صاحب المقال : أمال ياحي.
10- مدخل إلى علم مقاصد الشريعة/ الدكتور عبد القادر حرزالله، باتنة، ص125.
11- مجلة الصراط ع3 ، س2000(مبادئ حقوق الإنسان في الشريعة / إسماعيل رضوان، ص 89.
12- موقف الشريعة من نظرية الدفاع، ص105.

13(مجلة رسالة المسجد ع 4 س 1 نوفمبر 2003 ص 81 الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف الجزائر

المراجع :

1. فن تخطيط المدن – روبير أوزيل – ترجمة (بهيج شعبان (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – دون تاريخ .
2. مجلة البحوث الإسلامية – ع 23 من 1409 هـ – تصدر عن إدارة البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض – السعودية.
3. مجلة الموافقات ع3 س94 / حق الأمن في الشريعة (حمود حنبلي).
4. المدخل إلى علم مقاصد الشريعة/ الدكتور عبد القادر حرز الله.
5. مجلة الأحياء ع6 س2002 (جامعة باتنة – ص 84 - الأمن الدولي وتحديات ظاهرة الإرهاب/ الدكتورة رقية عواشرية).
6. موقف الشريعة من نظرية الدفاع الاجتماعي / الدكتور أحمد فتحي بهنسي – دار الشروق – طبعة 3.

7. المبادئ الشرعية في أحكام العقوبات / الدكتور عبد السلام محمد الشريف – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – تاريخ الطبعة 86.
8- مجلة رسالة المسجد ع 4 س 1 نوفمبر 2003 ص 81 الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف الجزائر .
9- مجلة رسالة المسجد ع1 س 5 جويلية 2007 ص 13 الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف الجزائر .